



أوراق علمية
(159)



الشواهد التوراتية

على أن موطن بني إسرائيل ليس جنوب الجزيرة العربية

إعداد

إبراهيم بن محمد صديق

باحث بمركز سلف للبحوث والدراسات

009665 565 412 942 جوال سلف



SALALFCENTER



salafcenter3@gmail.com



SALALFCENTER



لقد اكتشف ذلك بالصدفة، فبينما كان يبحث عن أسماء الأماكن ذات الأصول غير العربية في غرب شبه الجزيرة العربية فوجئ بوجود أرض التوراة كاملة هناك! في منطقة بطول يصل إلى ٦٠٠ كيلومتر وبعرض حوالي ٢٠٠ كيلومتر، تشمل عسير والجزء الجنوبي من الحجاز، فخرج بنتيجة مفادها: "أن البيئة التاريخية للتوراة لم تكن في فلسطين بل في غرب شبه الجزيرة العربية بمحاذاة البحر الأحمر، وتحديداً في بلاد السراة بين الطائف ومشارف اليمن، وبالتالي فإن بني إسرائيل من شعوب العرب البائدة، أي: من شعوب الجاهلية الأولى"^(١). فاليهودية لم تولد في فلسطين ومصر، ومسار بني إسرائيل ومسرح أحداثها هنا في مرتفعات عسير وسهول القنفذة والليث وغيرها من مدن غرب جنوب شبه الجزيرة العربية.

هذه هي النتيجة التي وصل إليها كمال صليبي ثم من تبعه من بعده، فصار عندهم بنو إسرائيل قوماً عرباً سكنوا شبه الجزيرة العربية، ولا علاقة لهم بالشام ومصر، وكل الآيات الصريحة التي تحدثت عن مصر والمسجد الأقصى والطور، والنصوص التي تثبت وجود الأقباط في مصر، كلها يحوِّرها كمال صليبي لتتناسب مع نظريته هذه، رغم أن القرآن لم يصرح ولم يلمح ولا مرة واحدة بأن أرض مصر هي في جنوب جزيرة العرب، وأن موسى وعيسى عليهما السلام بُعثا هناك، ولم يبين ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، ورغم التواتر المعرفي المغروس في وعي كل الشعوب ناقلين ذلك جيلاً عن جيل.

ونحن في هذه السلسلة نقرر موطن بني إسرائيل من خلال القرآن والسنة وكلام العلماء وشواهد التوراة، وليس هدفنا الأساس هو الرد على كمال صليبي أو غيره، وإن كنا سنشير إلى أقوالهم أثناء الحديث حتى نقرر ونرد على إمكانية تحوير ما نورد، وكنا قد

بدأنا بورقة بعنوان: "الشواهد القرآنية على أن موطن بني إسرائيل ليس جنوب الجزيرة العربية"^(١).

وثنيًا بورقة أخرى بعنوان: "بيان علماء الإسلام لموطن بني إسرائيل"^(٢).

وورقتنا اليوم بعنوان: "الشواهد التوراتية على أن موطن بني إسرائيل ليس جنوب الجزيرة العربية".

مكمن الخطر:

خطر هذه النظرية يكمن في انتزاع قدسيّة فلسطين وبيت المقدس، وتحويل النزاع الحاصل إلى كونه مجرد نزاع قومي لا تتعلق به أي قداسة دينية، فلا شأن للمسلمين به؛ ولذا يؤكّد باحثون ممن انتهجوا هذا المنهج الخاطئ في تحديد موطن بني إسرائيل أنّ أخطر ما زوّر ودُسّ في التوراة هو أنّ اليهود أعادوا لنا كتابة التاريخ، والسبب من وجهة نظرهم: استبدال مقدساتنا الربانية، وهم بذلك قد أدخلوا في وعينا ما لم يكن مقدسًا قط! هكذا يقول هؤلاء الباحثون، ويشيرون بقوة إلى هدفهم من هذا التحريف، وهو نزع فلسطين من أن يكون لها أي قدسية في الدين الإسلامي.

ويزعم هؤلاء الباحثون أن اليهود حينما حرّفوا التوراة شطبوا مكة المشرفة وسلسلة جبال السراة بعسير الممتدة من شمال مكة إلى أقصى اليمن، وما دار فيها وما كان منها وما تحويه من بيت رب العالمين الذي لا وجود لمثيله على وجه الأرض، شطب اليهود كل ذلك من وجدان أكثر بني آدم، ووجهوا ببوصلة أكثر الناس إلى الشام حيث لم يكن هناك قطُّ شيء مذكور^(٣).

فبناء على رأي هؤلاء ليس هناك شيء في الشام، لا أنبياء بُعثوا، ولا أرض مقدسة، ولا بيت مبارك مقدّس، ولا أحاديث في فضائل الشام، أو في فضائل بيت المقدس وفلسطين، ولا وصية من النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر والأقباط فيها!

مع التنبيه على أن كمال صليبي قد نصّ على أنه لا يريد بهذا البحث أن يقرر حق إسرائيل في منطقة عسير، بل يصرّح بأن يهود اليوم ليسوا يهود أمس لتكون لهم حقوق

(١) على الرابط: <https://salafcenter.org/4725/>

(٢) على الرابط: <https://salafcenter.org/4738/>

(٣) انظر: نداء السراة، اختطاف جغرافيا الأنبياء (ص: ١٥-١٧).

اليهود السابقين^(١). ووجب التنبيه حتى لا نجور على الكاتب فنقول ما لم يقله، وقد بذل مجهودًا في كتابه؛ ولكن الكتاب على كل حال يخدم الفكرة - غير البريئة - التي ذكرناها.

وقد أغنانا فراس السواح في كتابه: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم عن الرد على كمال صليبي الذي لم يخدم الصهيونية الحديثة - من حيث أراد أو لم يرد - فحسب، بل انتشل التوراة - التي نؤمن كمسلمين بتحريفها - من الإخفاقات التاريخية الأخرى؛ لكونها غير متسقة في كثيرٍ من تفاصيلها مع الوثائق التاريخية الأخرى.

ومن أسباب تلك الإخفاقات التي وقعت فيها التوراة المحرفة لدى الباحثين: عدم وجود كثير من الأودية والقرى التي ذكرت في التوراة المحرفة في الواقع المعاصر، الأمر الذي جعل كمال صليبي ومن حذا حذوه يسعون لإنقاذ التوراة التي ينكر البعض تحريفها، وذلك بتنزيل كثير من الأسماء على قرى وأودية جنوب المملكة العربية السعودية لمجرد تشابه بعض الأحرف والأوزان.

والذي ينبغي إدراكه جيدًا أنَّ عدم وجود بعض المعالم المذكورة في التوراة المحرفة في واقعنا المعاصر يعود لأحد أمرين:

الأول: طول العهد، فمدَّة ألفي عام وأزيد كفيلة بأن تتغير فيها المعالم بأسرها، وليس أسماؤها فقط، وهذا أمر لا يحتاج إلى كبير برهان؛ لا سيما في الشام ومصر اللتين تعاقبت عليهما العديد من الحضارات واللغات والأقوام.

الثاني: أنَّ التوراة نفسها حُرِّفت في أماكن متعددة لوجود علماء بني إسرائيل الذين اشتروا به ثمنًا قليلًا، وهؤلاء لا نشك بأنَّ بعضهم وهو يصوغ القصص المتخيَّلة يسوق معها أسماء إمَّا متخيَّلة أيضًا أو بلهجته حيث كان وجوده كعلماء السبي البابلي الذين كتبوا جزءًا من التلمود، ولا شكَّ أنهم أحدثوا كثيرًا من التحريفات أيضًا.

ومع ذلك فهناك مواقع في التوراة المحرفة - كثيرة أيضًا - وهي الأهم موجودة حتى اليوم، ومن غير المنطقي إسقاط تلك المناطق المهمة من أجل أسماء لم نعرف مكانها بعد، أو ليس لها حقيقة!

(١) انظر: التوراة جاءت من جزيرة العرب (ص: ١٣).

وهذان الأمران اليسيران لم يفقههما من زعم أن موطن بني إسرائيل كان في الحجاز أو منطقة جنوب السعودية، فاضطروا إلى نقل مسرح التوراة من الشام ومصر إلى مكان آخر بعيد عن المكان المعروف ما بين الشام ومصر.

وهذا النقل يُبقي التوراة بعيدة عن أيّ نقدٍ تاريخي؛ لأنّها ببساطة كانت في مكان لم تكتشف آثارها التاريخية حتى الآن، فبعد أن أظهرت المعلومات الأركيولوجية التي ظهرت خلال النصف الثاني من القرن العشرين الطابع غير التاريخي للمرويات التوراتية وعدم اتساقها - حسب تفسير المعنيين بأطلس الكتاب المقدس - مع كثير من الوثائق التاريخية، وأنّ التوراة في كثير منه حكايات شعبية وملاحم وقصص بطولية، جاء هؤلاء لينقلوا مسرح الأحداث إلى مسرح آخر غير مصر والشام، وهو الفعل الذي سيخفف كثيرًا من حدة النقد التاريخي الموجه للتوراة، فهي خدمة أخرى لم يحسب لها كمال صليبي حسابًا، وربما قصد ذلك!

ورغم أننا نؤمن أن التوراة محرفة، فليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام في مجملها، إلا أنها مفيدة في إثبات التواتر المعنوي الذي يفيد القطع، ولا تشتط فيه العدالة ولا الإسلام، ولا يصح نقضه بمجرد تخربات وظنون! فالتوراة وإن لم تصلح كتابا للتشريع لثبوت التحريف فيها، فإننا نفهمها ككتابٍ تاريخي يتحدث عن موطن بني إسرائيل كُتب قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة قرون على الأقل^(١)، فهي ليست للاستئناس فقط؛ بل في قضية الأمكنة والبقاع الباقية أسماؤها على حالها منذ كتابة التوراة حتى اليوم تُعتبر محل استدلال لعدد من الأمور:

أولاً: موافقتها للشواهد القرآنية والنبوية التي قد دلّتنا على موطن بني إسرائيل كما مرّ بنا في ورقة سابقة، ووصفنا التوراة المحرفة بأنها كتاب تاريخي يعني أنه يلحقه النقد كأى كتاب تاريخي آخر، لكن لا يمكن إنكار أنه حفظ ما كان محفوظًا عند الشعوب ومتداولًا بينهم، كما حفظت إلياذة هوميروس وأساطير اليونان القديمة أحوال الإغريق وبلدانهم وكثيرًا من طبائعهم.

ثانيًا: أنها تعتبر وثيقة قديمة من القرن السادس قبل الميلاد تقريبًا، وهي وإن لم تكن معصومة ومحفوظة، إلا أنّها نقلت ما كان مقرّرًا في تلك الفترة، ومجموع ما ذكر فيها يؤكد التواتر المعنوي الذي لا يمكن نقضه إلا بما هو أقوى منه، وعناصر هذا التواتر المعنوي

(١) انظر: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم (ص: ٦).

إضافة إلى التوراة: ما توارثته شعوب المنطقة -بل وشعوب العالم- من أن مصر هي مصر المعروفة، وأن الشام هي الشام التي نعرفها بتفاصيلها، فلا يصح أن يُنقض هذا التواتر المعنوي إلا بإبطاله، ولا سبيل لذلك.

ومن أسباب ذكرنا للشواهد التوراتية أنَّ من طارحي هذه الشبهة من استند إلى التوراة استناداً كلياً، واعتبره كتاباً تاريخياً موثقاً في جميع تفاصيله، ثم ذهب يحوّر الكلمات ويلوك الألفاظ ليقربها من بعض أسماء القبائل أو المناطق في غرب شبه الجزيرة العربية^(١).

وثمة أمر منهجي مهم ينبغي التنبيه عليه وهو: أن من المعلوم أنَّ التوراة نصوصٌ بالغة في القدم كُتبت بأحرف خالية من الحركات، ولغة هذه النصوص قد خرجت عن إطار الاستعمال العام؛ فجاء المسُوريون -وهم علماء اليهود التقليديون- فضبطوا النصوص بالإشارات الصوتية فيما بين القرن السادس والتاسع الميلادي، فهو عملٌ بدأ بعد ألف سنة من كتابة التوراة، فدخلها تحريفاتٌ عديدة غير التَّحريفات التي كانت عند كتابة التوراة، وبين هذا وذاك اتَّبع كمال صليبي ومن تبعه منهجاً غريباً لمعرفة الألفاظ والمدن التي وردت في التوراة، ويتمثل في "المقابلة اللغوية" بين الأسماء الواردة في التوراة وأسماء بعض مدن جنوب شبه الجزيرة العربية، وذلك بقلب الكلمات، واستبدال الأحرف، وباعتماد هذا المنهج عثر هو ومن تبعه -بزعمهم- على الأرض التوراتية الكاملة في غرب شبه الجزيرة العربية!^(٢)

وحتى تكون الصورة واضحة؛ كان المؤلف يعمد إلى كلماتٍ توراتيةٍ فيبدلها، من أمثال: "كنعان" ليتحول إلى "القناع"، و"صيدون" إلى "آل زيدان"، و"عموره" إلى "الغمر"، و"أورشليم" إلى "آل شريم"! وكثيراً ما يخفق صليبي في إيجاد كلمة قريبة، فيعمد إلى دمج منطقتين لتصبح منطقة واحدة؛ مثل: "كركميش" المعروف تاريخياً بأنها منطقة على الفرات في الشمال السوري، يجعلها صليبي في منطقة "القر" و"القماشة" بمنطقة الطائف^(٣).

فمشكلة هؤلاء أنَّهم يهربون من المنهج التاريخي والأركيولوجي إلى المنهج اللغوي المقارن، فتجدهم يبرعون في إيجاد بعض التشابه في أسماء النباتات، أو حتى تحويل أسماء مناطق لتوافق نطق بعض المناطق في التوراة، فالمشكلة الكبرى لا تكمن فقط في النتيجة

(١) انظر: التوراة جاءت من جزيرة العرب (ص: ٥٣-٥٤).

(٢) انظر: التوراة جاءت من جزيرة العرب (ص: ١٣-١٤).

(٣) انظر: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم (ص: ٣-١٤).

التي توصلوا إليها، بل في المنهج الذي أعملوه في مسألة تاريخية حساسة كهذه، وحتى في المقارنة اللغوية نجد أنَّهم أغفلوا كثيراً من الأسماء أو النصوص التي لا تخدم المراد، وبالعوا في البحث عن أي خيط يربط بين الكلمة التوراتية والاسم الواقعي لمنطقة ما في جنوب شبه الجزيرة العربية لدرجة التكلف الواضح، بل لدرجة أنَّهم يتيهون بين مناطق عديدة، فتراهم يقولون: لعلَّها كذا أو كذا! مع أنَّه لو جعل النصَّ في سياقه الواضح لما احتيج إلى كل هذا التكلف.

وقبل أن نبدأ في سرد بعض -وليس كل- الشواهد التوراتية على موطن بني إسرائيل نوضح أنَّه إذا قلنا: إنَّ مسرح الأحداث كانت بين مصر والشام وفلسطين فلا يعني ذلك أننا نبرر وجود الصهاينة اليوم على أرض فلسطين، فأحقية التواجد مسألة أخرى، والبحث في صهاينة اليوم وامتدادهم إلى بني إسرائيل الحقيقيين مسألة أخرى كذلك، ونحن موقنون أنه لا حق لهم في أرض فلسطين، كما أنه لا حق لهم في شبه الجزيرة العربية، وهي قضية مسلَّمة يقينية عندنا، ولذلك مقامات آخر لكن وجب التنبيه.

وفيما يلي الشواهد التوراتية:

الشاهد الأول: إبراهيم عليه السلام:

تخبرنا التَّوراة عن إبراهيم عليه السَّلام في عدة مواطن، وتهنأ هنا تلك النصوص التي تحدثت عن موطنه ورحلاته، وقد بدأنا بإبراهيم عليه السلام -والذي كان يسمى في التوراة: أبرام- نظراً لكونه أبا الشعبين: شعب إسماعيل وشعب إسرائيل عليهما السلام.

في سفر التكوين نجد أنَّ الله سبحانه وتعالى يأمر إبراهيم عليه السلام بالارتحال من مدينته^(١)، فيقول له: "١ وقال الرب لأبرام: (اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. ٢ فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة. ٣ وأبارك مباركك، ولا عنك ألعنه. وتبارك فيك جميع قبائل الأرض). ٤ فذهب أبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط. وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران. ٥ فأخذ أبرام ساراي امرأته، ولوطا ابن أخيه، وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلکا في حاران. وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى أرض كنعان"^(٢).

(١) في كلِّ نصِّ نقول فيه: قال الله؛ فإنما هو باعتبار التوراة، مع إيماننا بدخول التحريف فيها، وعدم الجزم بأن هذا القول هو قول الله سبحانه وتعالى.
(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثاني عشر (١-٥).

وأرض كنعان سيمرُّ بنا أنَّها أرض فلسطين وما حولها، فأمر إبراهيم عليه السلام أن يجتاز إلى هناك، ويسكن تلك الديار وهو ما فعله عليه السلام، ويتأكد ذلك بذكر بيت إيل كما جاء في التوراة: "٦ واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة. وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض. ٧ وظهر الرب لأبرام وقال: (لنسلك أعطي هذه الأرض). فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له. ٨ ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته. وله بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق" (١).

ومما يؤكد أنه كان هناك في الشام أنه قد جاء خبر رحيله إلى مصر التي سيأتينا أيضاً أنها مصر المعروفة، جاء في التوراة: "٩ ثم ارتحل أبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب. ١٠ وحدث جوع في الأرض، فأنحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك؛ لأنَّ الجوع في الأرض كان شديداً. ١١ وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته: إنِّي قد علمت أنَّك امرأة حسنة المنظر. ١٢ فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته. فيقتلونني ويستبقونك. ١٣ قللي: إنك أختي، ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك" (٢).

فرحيله وانحداره كان إذن إلى الجنوب وإلى مصر تحديداً، وما حدث من جوع في أراضي فلسطين والشام عموماً ستشهد له شواهد أخرى على مرِّ التاريخ، وأنَّ الناس بينهم عرف بأنَّ في سنين الجوع ينحدر الناس إلى مصر، وهو ما يعني أنه حين يحل الجوع والجفاف في أراضي الشام لا يكون كذلك في مصر، فهما منطقتان مختلفتان، بينما لو جعلناهما منطقة واحدة في غرب شبه الجزيرة العربية لم يكن ثمة اختلاف كبير في الجفاف والجوع وغير ذلك، فهذا شاهد آخر على أنَّهما منطقتان مختلفتان، وسيأتينا أنَّ الناس في زمن يعقوب عليه السلام أيضاً ينحدرون من الشام إلى مصر طلباً للرزق والطعام حين يحل الجوع في أراضي الشام.

وواضح أنَّ هذا النص يشير إلى قصة إبراهيم وسارة، وهي مروية في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله {إني سقيم} [الصفافات: ٨٩]، وقوله: {بل فعله كبيرهم هذا} [الأنبياء: ٦٣]. وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة قال: يا سارة، ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثاني عشر (٦-٨).

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثاني عشر (٩-١٣).

هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني، فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبتة، فقال: إنكم لم تأتونني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائم يصلي، فأوماً بيده: مهيا، قالت: رد الله كيد الكافر، أو الفاجر، في نحره، وأخدم هاجر^(١).

وفي تكملة القصة ذاتها جاء في التوراة: "١٤ فحدث لَمَّا دخل أبرام إلى مصر أنَّ المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا. ١٥ ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون، ١٦ فصنع إلى أبرام خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال. ١٧ فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام. ١٨ فدعا فرعون أبرام وقال: (ما هذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ ١٩ لماذا قلت: هي أختي، حتى أخذتها لي لتكون زوجتي؟ والآن هوذا امرأتك! خذها واذهب!). ٢٠ فأوصى عليه فرعون رجالا فشيّعوه وامراته وكل ما كان له"^(٢).

وهنا نجد أنه يتحدث عن فرعون، وقد بينا في الورقة السابقة أنَّ فرعون لقب يطلق على من يملك مصر المعروفة لا على غيره، يقول ابن كثير وهو يبيِّن أنَّ فرعون لا يطلق إلا على من ملك مصر المعروفة: "وَفِرْعَوْنُ عَلِمَ عَلَى كُلِّ مَنْ مَلَكَ مِصْرَ كَافِرًا، مِنَ الْعَمَالِيقِ وَغَيْرِهِمْ، كَمَا أَنَّ قَيْصَرَ عَلِمَ عَلَى كُلِّ مَنْ مَلَكَ الرُّومَ مَعَ الشَّامِ كَافِرًا، وَكِسْرَى لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ الْفُرْسَ، وَتَبَعَ لِمَنْ مَلَكَ الْيَمَنَ كَافِرًا، وَالنَّجَاشِيُّ لِمَنْ مَلَكَ الْحَبَشَةَ، وَبَطْلَيْمُوسَ لِمَنْ مَلَكَ الْهِنْدَ"^(٣).

ومما يؤكد وجود إبراهيم عليه السلام في الشام أيضاً ما ورد من وقوع نزاع بين رعاة أغنام إبراهيم ولوط عليهما السلام، فأمره إبراهيم أن يذهب إلى أرض أخرى، جاء في التوراة: "٥ ولوط السائر مع أبرام، كان له أيضاً غنم وبقر وخيام. ٦ ولم تحتملها الأرض أن يسكنا معا، إذ كانت أملاكهما كثيرة، فلم يقدر أن يسكنا معا. ٧ فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشي أبرام ورعاة مواشي لوط. وكان الكنعانيون والفرزيون حيثنذ ساكنين في الأرض. ٨ فقال أبرام للوط: (لا تكن مخاصمة بيني وبينك، وبين رعائي ورعاتك، لأننا

(١) صحيح البخاري (٣٣٥٨).

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثاني عشر (١٤-٢٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٢٥٨). وينظر: تفسير أبي السعود (٣/ ٢٥٧).

نحن أخوان. ٩ أليست كل الأرض أمامك؟ اعتزل عني. إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً، وإن يميناً فأنا شمالاً). ١٠ أرفع لوط عينيه ورأى كل دائرة الأردن أن جميعها سقي قبلما أخرب الرب سدوم وعمورة، كجنة الرب، كأرض مصر حينما تجيء إلى صوغر. ١١ فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن، وارتحل لوط شرقاً. فاعتزل الواحد عن الآخر. ١٢ أبرام سكن في أرض كنعان، ولوط سكن في مدن الدائرة، ونقل خيامه إلى سدوم. ١٣ وكان أهل سدوم أشاروا وخطاة لدى الرب جداً^(١).

فهذا لوط عليه السلام قد انحدر إلى جهة الأردن التي حاول هؤلاء أيضاً أن يحرفوا معناها، خاصة أن الأردن قد ورد كثيراً في التوراة، وسيأتينا بيان خطأ افتراضهم وتفسيرهم للأردن.

ومن الشواهد التي تدل على موطن إبراهيم عليه السلام أن سارة زوجته قد ماتت في حبرون -مدينة الخليل اليوم-، جاء في التوراة: "وكانت حياة سارة مئة وسبعاً وعشرين سنة، سني حياة سارة. ٢ وماتت سارة في قرية أربع، التي هي حبرون، في أرض كنعان. فأتى إبراهيم ليندب سارة ويكي عليها. ٣ وقام إبراهيم من أمام ميتة وكلم بني حث قائلاً: ٤ أنا غريبٌ ونزِيلٌ عندكم. أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي"^(٢).

والشواهد في قصة إبراهيم عديدة من أهمها:

١ - ارتحاله إلى أرض الكنعانيين، التي تشمل فلسطين وما حولها.

٢ - انحداره إلى مصر.

٣ - ذكر فرعون مصر.

٤ - ذكر الأردن.

٥ - ذكر مدينة حبرون التي هي مدينة الخليل.

الشاهد الثاني: نهر الأردن:

إحدى أهم الكلمات التي وقف عندها كمال صليبي: "الأردن، أو نهر الأردن"، فقد عنون له بقوله: "مسألة الأردن"، وقد ذكرت هذه الكلمة كثيراً في التوراة مشيرة إلى نهر الأردن في فلسطين، ويجدها صليبي مشكلةً بحثية حيث يقول: "أما كيف أصبح النهر

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثالث عشر (٥-١٣).

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثالث والعشرون (١-٤).

الفلسطيني الشهير يعرف بهذا الاسم فهي مسألة تستحق التّحقيق بحدّ ذاتها، ولكنها ليست المسألة التي سنتطرق إليها هنا، والمسألة المباشرة والآنية هي التالية: إذا كان أردن التوراة العبرية ليس نهراً فماذا يمكن أن يكون؟^(١).

وقبل أن ندلف إلى إجابة صليبي وبيان معنى الأردن نتساءل: لِمَ لم يجب عن تسمية النّهر في فلسطين بهذا الاسم؟ فإنّ هذا الاسم هو المشهور، وهو الذي ينبغي أن ينصرف له الذّهن عند الإطلاق، خاصّة أنّه هو يقول: "في الاستعمال التّوراتي تؤخذ كلمة (هـ يردن) تقليدياً على أنّها اسم النهر المعروف في فلسطين، ولكنها ليست اسماً دوماً!"^(٢)، فماذا يمكن أن يكون؟

يجيب صليبي فيقول: "بل - كما في العربية - تعبير طوبوغرافي يعني جرف أو قمة أو مرتفع... تشير (هـ - يردن) بلا استثناء إلى الجرف الرئيسي لسراة عسير الجغرافية الذي يمتد من الطائف في جنوب الحجاز إلى منطقة ظهران الجنوب قرب الحدود اليمنية!"^(٣).

أمّا في التوراة فإننا نجد في سفر الملوك الثاني النصّ الآتي: "١ وقال بنو الأنبياء لأليشع: (هوذا الموضع الذي نحن مقيمون فيه أمامك ضيق علينا. ٢ فلنذهب إلى الأردن ونأخذ من هناك كل واحد خشبة، ونعمل لأنفسنا هناك موضعاً لنقيم فيه). فقال: (اذهبوا). ٣ فقال واحد: (اقبل واذهب مع عبيدك). فقال: (إنّي أذهب). ٤ فانطلق معهم، ولَمّا وصلوا إلى الأردن قطعوا خشباً. ٥ وإذ كان واحد يقطع خشبة، وقع الحديد في الماء. فصرخ وقال: (آه يا سيدي! لأنه عارية). ٦ فقال رجل الله: (أين سقط؟) فأراه الموضع، فقطع عوداً وألقاه هناك، فطفا الحديد. ٧ فقال: (ارفعه لنفسك). فمد يده وأخذه"^(٤).

وهذا تتابعٌ منطقي في الأحداث؛ حيث يعبر عن الأردن هنا بماءٍ وقع فيه الفأس، وليس بماءٍ خفيف حتى يستطيع الإنسان أن يأخذ منه الفأس بسهولة، فلا يمكن أن يكون المقصود هو جرف أو قمة جبلية، إذ لا توجد مياه بهذه الكثرة في الجروف الصخرية عادة.

وفي نصٍّ أكثر وضوحاً تتحدث التوراة عن مياه وضفة وشطآن، ولا تكون إلا لنهر، جاء في التوراة: "٦ وقال يشوع للكهنة: (احملوا تابوت العهد واعبروا أمام الشعب). فحملوا تابوت العهد وساروا أمام الشعب. ٧ فقال الربُّ ليشوع: (اليوم أبتدئ أعظمك في أعين

(١) التوراة جاءت من جزيرة العرب (ص: ١٣٣).

(٢) التوراة جاءت من جزيرة العرب (ص: ١٣٤).

(٣) التوراة جاءت من جزيرة العرب (ص: ١٣٤).

(٤) سفر الملوك الثاني، الإصحاح السادس (١-٧).

جميع إسرائيل لكي يعلموا أني كما كنت مع موسى أكون معك. ٨ وأما أنت فأمر الكهنة حاملي تابوت العهد قائلاً: عندما تأتون إلى ضفة مياه الأردن تقفون في الأردن... ١١ هوذا تابوت عهد سيد كل الأرض عابر أمامكم في الأردن. ١٢ فالآن انتخبوا اثني عشر رجلاً من أسباط إسرائيل، رجلاً واحداً من كل سبط. ١٣ ويكون حينما تستقر بطون أقدام الكهنة حاملي تابوت الرب سيد الأرض كلها في مياه الأردن، أن مياه الأردن، المياه المنحدرة من فوق، تنفلق وتقف ندّاً واحداً). ١٤ ولَمَّا ارتحل الشعب من خيامهم لكي يعبروا الأردن، والكهنة حاملو تابوت العهد أمام الشعب، ١٥ فعند إتيان حاملي التابوت إلى الأردن وانغماس أرجل الكهنة حاملي التابوت في ضفة المياه، والأردن ممتلئ إلى جميع شطوطه كل أيام الحصاد، ١٦ وقفت المياه المنحدرة من فوق، وقامت ندّاً واحداً بعيداً جداً عن (أدام) المدينة التي إلى جانب صرتان، والمنحدرة إلى بحر العربة (بحر الملح) انقطعت تماماً، وعبر الشعب مقابل أريحا^(١).

ثم في الإصحاح الذي يليه: "١ وكان لَمَّا انتهى جميع الشعب من عبور الأردن أن الرب كلم يشوع قائلاً: ٢ (انتخبوا من الشعب اثني عشر رجلاً، رجلاً واحداً من كل سبط، ٣ وأمرهم قائلين: احملوا من هنا من وسط الأردن، من موقف أرجل الكهنة راسخة، اثني عشر حجراً، وعبروها معكم وضعوها في المبيت الذي تبيتون فيه الليلة). ٤ فدعا يشوع الاثني عشر رجلاً الذين عينهم من بني إسرائيل، رجلاً واحداً من كل سبط. ٥ وقال لهم يشوع: (اعبروا أمام تابوت الرب إلهكم إلى وسط الأردن، وارفعوا كل رجل حجراً واحداً على كتفه حسب عدد أسباط بني إسرائيل، ٦ لكي تكون هذه علامة في وسطكم. إذا سأل غدا بنوكم قائلين: ما لكم وهذه الحجارة؟ ٧ تقولون لهم: إن مياه الأردن قد انفلقت أمام تابوت عهد الرب. عند عبوره الأردن انفلقت مياه الأردن. فتكون هذه الحجارة تذكارا لبني إسرائيل إلى الدهر). ٨ ففعل بنو إسرائيل هكذا كما أمر يشوع، وحملوا اثني عشر حجراً من وسط الأردن، كما قال الرب ليشوع، حسب عدد أسباط بني إسرائيل، وعبروها معهم إلى المبيت ووضعوها هناك. ٩ ونصب يشوع اثني عشر حجراً في وسط الأردن تحت موقف أرجل الكهنة حاملي تابوت العهد. وهي هناك إلى هذا اليوم. ١٠ والكهنة حاملو التابوت وقفوا في وسط الأردن حتى انتهى كل شيء أمر الرب يشوع أن يكلم به الشعب، حسب كل ما أمر به موسى يشوع. وأسرع الشعب فعبروا... ١٥ وكلم الرب يشوع قائلاً: ١٦ (مر الكهنة حاملي تابوت الشهادة أن يصعدوا من الأردن). ١٧ فأمر

(١) سفر يشوع، الإصحاح الثالث (١٦-١).

يشوع الكهنة قائلا: (اصعدوا من الأردن). ١٨ فكان لما صعد الكهنة حاملو تابوت عهد الرب من وسط الأردن، واجتذبت بطون أقدام الكهنة إلى اليابسة، أن مياه الأردن رجعت إلى مكانها وجرت كما من قبل إلى كل شطوطه. ١٩ وصعد الشعب من الأردن في اليوم العاشر من الشهر الأول، وحلوا في الجلجال في تخم أريحا الشرقي. ٢٠ والاثنى عشر حجرا التي أخذوها من الأردن نصبها يشوع في الجلجال^(١).

فها هنا وصفٌ ملحمة عن عبور الأردن، وحديثٌ عن ضفة الأردن، وامتلاء الشطآن، وأرجل تنغمس في المياه، بل وفلق مياه الأردن ليعبروا، فهل يكون ذلك في جرفٍ صخري؟!

وفي سفر الملوك الثاني عند عرض معجزة قيام النبي إيليا بفلق مياه الأردن بردائه وتسليم النبوة لأليشع جاء في التوراة: "١ وكان عند إصعاد الرب إيليا في العاصفة إلى السماء، أن إيليا وأليشع ذهبا من الجلجال. ٢ فقال إيليا لأليشع: (امكث هنا لأن الرب قد أرسلني إلى بيت إيل). ... ثم قال له: (امكث هنا لأن الرب قد أرسلني إلى الأردن). فقال: (حي هو الرب، وحية هي نفسك، إني لا أتركك). وانطلقا كلاهما. ٧ فذهب خمسون رجلاً من بني الأنبياء ووقفوا قبالتهم من بعيد. ووقف كلاهما بجانب الأردن. ٨ وأخذ إيليا رداءه ولفه وضرب الماء، فانفلق إلى هنا وهناك، فعبرا كلاهما في اليبس. ٩ ولما عبرا قال إيليا لأليشع: (اطلب: ماذا أفعل لك قبل أن أؤخذ منك؟)"^(٢).

فهل يمكن أن يكون هذا جرفاً، وأن يقفا بجانب الجرف، ويأخذ إيليا رداءه ويلفه ويضرب به الماء؟! أي ماء؟! وما الذي انفلق حتى مروا في اليبس؟ تعبير اليبوسة هنا يعني أن النهر هو الذي انفلق، وليس ثمة جرف^(٣).

وفي تعبير صريح عن الأردن أنه نهر لا جرف، جاء في التوراة: "٨ ولما سمع أليشع رجل الله أن ملك إسرائيل قد مزق ثيابه، أرسل إلى الملك يقول: (لماذا مزقت ثيابك؟ ليأت إلي فيعلم أنه يوجد نبي في إسرائيل). ٩ فجاء نعمان بخيله ومركباته ووقف عند باب بيت أليشع. ١٠ فأرسل إليه أليشع رسولا يقول: (اذهب واغتسل سبع مرات في الأردن،

(١) سفر يشوع، الإصحاح الرابع (١-٢٤).

(٢) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الثاني (١-٩).

(٣) انظر: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، لفراس السواح (ص: ٢٢٧-٢٢٨).

فيرجع لحملك إليك وتطهر)... ١٤ فنزل وغطس في الأردن سبع مرات، حسب قول رجل الله، فرجع لحمه كلحم صبي صغير وطهر"^(١).

فالغطس لا يكون في جرف وإنما في نهر، ومما يؤكد أنه ليس جرفاً في جبال عسير أن العبور كان عبر نهر الأردن إلى مدينة أريحا، وهي معروفة [انظر: الخريطة رقم (٢)]، جاء في التوراة: "١ وارتحل بنو إسرائيل ونزلوا في عربات موآب من عبر أردن أريحا"^(٢).

وكلُّ هذه الشواهد تدلُّنا على أن الأردن هو النهر المعروف، وكمال صليبي نفسه طرح التساؤل حول تسمية النهر بنهر الأردن، لكنه لم يقدم أي جواب، والمهم أن الأردن لديه أي جرف في أي مكان بشرط أن لا يكون في فلسطين! يقول كمال صليبي: "وعلى العموم فإن (هـ يردن) من دون عبر يمكنها أن تشير إلى أي جزء من جرف عسير، وهي كثيراً ما تشير أيضاً إلى أي من القمم والمرتفعات التي لا تحصي في الجانب البحري من عسير وجنوب الحجاز، وتشير في الحقيقة إلى قمم الجبال أو إلى الجروف في أي مكان آخر"^(٣).

الشاهد الثالث: كنعان:

أرض كنعان تتمثل في المناطق الواقعة إلى الغرب من نهر الفرات بما فيها فلسطين؛ لذا فكل ذكرٍ لبني إسرائيل في أرض كنعان فهو بيان لموطنهم في الشام، وقد بينت التوراة حدود بلاد الكنعانيين، جاء فيها: "١٩ وكانت تخوم الكنعاني من صيدون، حينما تجيء نحو جرار إلى غزة، وحينما تجيء نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبويم إلى لاشع"^(٤).

وهذه التسمية -أعني: كنعان- ليس استعمالاً توراتياً فحسب، بل هي تسمية قائمة قبل تحرير أسفار التوراة، وقبل التاريخ المفترض لدخول الإسرائيليين إلى كنعان، فقد استعملت النصوص المصرية تسمية "كنعان" منذ الألف الثانية قبل الميلاد^(٥).

وكنعان ليست في غرب شبه الجزيرة العربية كما يدعيه صليبي، وأن كنعان تعني "قرية القناع" في منطقة المجاردة شمال منطقة بلحمر، أو أنها تعني قرية تسمى بـ "ذي القناع"، أو

(١) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الخامس (٨-١٤).

(٢) سفر العدد، الإصحاح الثاني والعشرون (١).

(٣) التوراة جاءت من جزيرة العرب (ص: ١٣٤-١٣٥).

(٤) سفر التكوين، الإصحاح العاشر (١٩).

(٥) انظر: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم (ص: ٢٥٠).

أخرى تسمى "القنعة"، أو الثالثة تسمى "القنعات"، والأخيرتان في جيزان، فعنده قد تكون هذه أو هذه لكن لن تكون التي في فلسطين!^(١).

والحقيقة أنَّ كنعان ليست إلا تلك الديار التي ذكرناها، ومدنها تتفق مع ما ذكرناه وليس مع ادعاء الصليبي ومن تبعه، ومن أشهرها مدينة صور، فقد ورد اسمها في التوراة، فقد طلب سليمان عليه السلام من ملك صور خشبًا، فقال له سليمان: "٦ والآل فأمراً أن يقطعوا لي أرزا من لبنان، ويكون عبيدي مع عبيدك، وأجرة عبيدك أعطيك إياها حسب كل ما تقول، لأنك تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين"^(٢)، فرد عليه حيرام ملك صور قائلاً: "(قد سمعت ما أرسلت به إلي. أنا أفعل كل مسرتك في خشب الأرز وخشب السرو. ٩ عبيدي ينزلون ذلك من لبنان إلى البحر، وأنا أجعله أرمائاً في البحر إلى الموضع الذي تعرفني عنه وأتقضه هناك، وأنت تحمله، وأنت تعمل مرضاتي بإعطائك طعاماً لبيتتي). ١٠ فكان حيرام يعطي سليمان خشب أرز وخشب سرو حسب كل مسرته. ١١ وأعطى سليمان حيرام عشرين ألف كر حنطة طعاماً لبيته، وعشرين كر زيت رضي الله عنه"^(٣).

وهذا الخشب الذي طلبه سليمان عليه السلام سيتم إنزاله في يافا كما جاء في التوراة: "١٦ ونحن نقطع خشباً من لبنان حسب كل احتياجك، ونأتي به إليك أرمائاً على البحر إلى يافا، وأنت تصعده إلى أورشليم"^(٤).

وصور المقصودة هنا والتي طلب منها سليمان الخشب هي الميناء الفينيقي المعروف على الساحل اللبناني؛ إذ إنَّ الخشب سينقل بحرًا، وسليمان سيستلمها بحرًا، وينقل إلى أورشليم، وعلى رواية الصليبي إن كانت صور هي زور الوادعة بمنطقة نجران، فلم تنقل الأخشاب إلى البحر بهذا الجهد ثم يستلم من البحر مع أن نقله برًا أسهل؟!^(٥).

كما أنَّ يافا التي حددتها التوراة هي يافا الشام وهي مدينة ساحلية، وليست الوفية في منطقة جيزان، أو الوافية "قرب خميس مشيط"^(٦)؛ ذلك أن نصوصاً أخرى تؤكد ذلك، ففي سفر عزرا جاء في التوراة: "٧ وأعطوا فضة للنحاتين والنجارين، ومأكلاً ومشرباً وزيتاً

(١) انظر: التوراة جاءت من جزيرة العرب (ص: ١٠١).

(٢) سفر الملوك الأول، الإصحاح الخامس (٦).

(٣) سفر الملوك الأول، الإصحاح الخامس (٨-١١).

(٤) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح الثاني (١٦).

(٥) انظر: الحديث التوراتي والشرق الأدنى القديم (٢٥٤).

(٦) كما يدعيه كمال صليبي، انظر: التوراة جاءت من جزيرة العرب (ص: ١٢٠).

للصيدونيين والصوريين ليأتوا بخشب أرز من لبنان إلى بحر يافا، حسب إذن كورش ملك فارس لهم^(١).

فنفهم أن يافا ميناء بحري وليست مدينة داخلية، والذي نريد أن نصل إليه هو: أن الأراضي الكنعانية في الشام، وكل ما يرد في التوراة متعلقاً بكنعان فهو شاهدٌ على أن موطن بني إسرائيل كان في الشام، وقد مرَّ بنا ذكر كنعان في قصة إبراهيم عليه السلام، وسيمر بنا في الشواهد الآتية.

وفي النصوص السابقة عددٌ من المواضع التي لا زالت حتى اليوم من يوم كتابة التوراة قبل أكثر من ألفي عام بالاسم والرسم نفسيهما مثل: لبنان، صيدون من أسماء صيدا، صور، وحيفا؛ فما الداعي إلى زعم كونها أسماء لبلاد أخرى، ثم العبث بأسماء تلك البلاد لكي يتم الزعم بأن جنوب السعودية أو الحجاز هو موطن بني إسرائيل؟!

الشاهد الرابع: إسحاق:

إسحاق هو أب يعقوب الذي هو إسرائيل، وقد كان أيضاً في الشام، كما جاء في التوراة: "١ وكان في الأرض جوعٌ غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم، فذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين، إلى جرار. ٢ وظهر له الرب وقال: لا تنزل إلى مصر. اسكن في الأرض التي أقول لك. ٣ تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك، لأنني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد، وأني بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك"^(٢).

ويتضح من خلال النص أنه كان في الشام إن لم يكن في فلسطين نفسها.

الشاهد الخامس: يعقوب:

يعقوب عليه السلام هو إسرائيل، وقد مرَّ بنا أن ذلك ثابت بالحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: «فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً فطال سقمه...»^(٣).

فاسم إسرائيل نفسه يجعله الصليبي "مرتفعات السراة"، ويذكر أنها كلمة قرينة للكلمة العربية "سرو" أو "سري"، والسرو هو ما ارتفع من الوادي وانحدر عن غلظ الجبل، فإسرائيل في الأصل اسم جغرافي قبل أن يكون اسماً لشعب، فهو اسم يشير إلى

(١) سفر عزرا، الإصحاح الثالث (٧).

(٢) سفر التكوين، الإصحاح السادس والعشرون (١-٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٤٧١).

مرتفعات السراة بين الطائف واليمن^(١)؛ لكن هذا لا يتسق إطلاقاً مع المعنى الحقيقي لإسرائيل الذي أتت به التوراة، ففي سفر التكوين: "٢٢ ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأته وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبق. ٢٣ أخذهم وأجازهم الوادي، وأجاز ما كان له. ٢٤ فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ٢٥ ولمّا رأى أنّه لا يقدر عليه، ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعة معه. ٢٦ وقال: (أطلقني، لأنه قد طلع الفجر). فقال: (لا أطلقك إن لم تباركني). ٢٧ فقال له: (ما اسمك؟) فقال: (يعقوب). ٢٨ فقال: (لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت). ٢٩ وسأل يعقوب وقال: (أخبرني باسمك). فقال: (لماذا تسأل عن اسمي؟) وباركه هناك"^(٢).

وبغض النظر عن النصّ الذي ينسبون فيه أمراً شنيعاً إلى الله - على تفسير أن الذي صرعه هو الله - فإنه يظهر فيه أنّ يعقوب هو إسرائيل، وأنّه سمي بذلك لأنه جاهد مع الله، إلا أنّ كمال صليبي يرى أنّ هذا التفسير ليس إلا تفسيراً ميثولوجياً من نسج الخيال!^(٣).

وقد بينت التوراة موطن يعقوب - إسرائيل - عليه السلام فجاء فيها: "١٧ وأما يعقوب فارتحل إلى سكوت، وبنى لنفسه بيتاً، وصنع لمواشيه مظلات. لذلك دعا اسم المكان (سكوت). ١٨ ثم أتى يعقوب سالماً إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان، حين جاء من فدان أرام. ونزل أمام المدينة"^(٤).

وقد مرّ بنا الحديث عن أرض كنعان، والنصّ التوراتي هنا يؤكد أن إسرائيل كان في أرض كنعان، وفي نصّ آخر تقرر التوراة نفس الموطن لإسرائيل فجاء فيها: "٥ ثم رحلوا، وكان خوف الله على المدن التي حولهم، فلم يسعوا وراء بني يعقوب. ٦ فأتى يعقوب إلى لوز التي في أرض كنعان، وهي بيت إيل. هو وجميع القوم الذين معه. ٧ وبنى هناك مذبحاً، ودعا المكان (إيل بيت إيل)"^(٥)، ولقصته ارتباطاً بقصة يوسف عليه السلام الآتية.

(١) انظر: التوراة جاءت من جزيرة العرب (ص: ١٩٥-١٩٦).

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثاني والثلاثون (٢٢-٢٩).

(٣) انظر: التوراة جاءت من جزيرة العرب (ص: ١٩٥).

(٤) سفر تكوين، الإصحاح الثاني والثلاثون (١٧-١٨).

(٥) سفر التكوين، الإصحاح الخامس والثلاثون (٥-٧).

الشَّاهد السَّادس: يوسف:

قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم قد أكدت في مواضع كثيرة أن موطن بني إسرائيل ما بين الشام ومصر، بل كان والد يوسف وهو يعقوب عليه السلام -إسرائيل- هو من نقل بني إسرائيل إلى مصر بعد أن كانوا في الشام، وكانوا يزورون مصر للطعام فقط أيام الجوع كما مرَّ، والشواهد التوراتية أيضًا تؤكد على موطن بني إسرائيل من خلال قصة يوسف عليه السلام.

فقد بدأت القصة كما هي في القرآن بأن إخوة يوسف ألقوه في البُئْبُ، فجاءت سيارة فأخذه، جاء في التوراة: "٢٨ واجتاز رجال مديانيون تجار، فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر، وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة. فأتوا بيوسف إلى مصر"^(١)، ومن هنا انتقل يوسف عليه السلام إلى مصر، وتؤكد التوراة ذلك مرارًا، فجاء فيها: "١ وأما يوسف فأنزل إلى مصر، واشتراه فوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط، رجل مصري، من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه إلى هناك. ٢ وكان الرب مع يوسف فكان رجلًا ناجحًا، وكان في بيت سيده المصري"^(٢)، وقد مرَّ بنا أن فرعون إنما يطلق على من ملك مصر، وتبين قصة يوسف أنه كان في مصر التي عليها فرعون، وليست هي المصرمة في غرب جزيرة العرب كما يدعيه كمال!

جاء في التوراة: "١ وحدث من بعد سنتين من الزَّمان أن فرعون رأى حلمًا: وإذا هو واقف عند النهر، ٢ وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المنظر وسمينة اللحم، فارتعت في روضة... ١٤ فأرسل فرعون ودعا يوسف، فأسرعوا به من السجن. فحلق وأبدل ثيابه ودخل على فرعون..."^(٣).

وهي قصة طويلة جرت بين يوسف عليه السلام وفرعون عصره، في نهايتها جعله فرعون على خزائن مصر كما جاء في التوراة: "١٤ ثم قال فرعون ليوسف: (انظر، قد جعلتك على كل أرض مصر). ٤٢ وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف، وألبسه ثياب بوص، ووضع طوق ذهب في عنقه، ٤٣ وأركبه في مركبته الثانية، ونادوا أمامه

(١) سفر التكوين، الإصحاح السابع والثلاثون (٢٨).

(٢) سفر التكوين، الإصحاح التاسع والثلاثون (٢-١).

(٣) سفر التكوين، الإصحاح الحادي والأربعون (١-١٤).

(اركعوا). وجعله على كل أرض مصر. ٤٤ وقال فرعون ليوسف: (أنا فرعون. فبدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله في كل أرض مصر"^(١)).

وقد تحدثنا سابقاً عن الجوع الذي كان يضرب بعض مناطق الشام، فيُضطر أهلها إلى النزول إلى مصر ليتزودوا بالطعام، كما حدث في زمن إبراهيم عليه السلام ومن بعده عدة مرات، وكذلك حدث في زمن يعقوب عليه السلام، وكان السبب المباشر في انتقال بني إسرائيل إلى مصر، جاء في التوراة: "١ فلَمَّا رَأَى يَعْقُوبُ أَنَّهُ يَوْجَدُ قَمْحَ فِي مِصْرَ، قَالَ يَعْقُوبُ لِبْنِيهِ: (لِمَاذَا تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ؟) ٢ وَقَالَ (إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ يَوْجَدُ قَمْحَ فِي مِصْرَ. انْزِلُوا إِلَيَّ هُنَاكَ وَاشْتَرُوا لَنَا مِنْ هُنَاكَ لِنَحْيَا وَلَا نَمُوتَ)"^(٢).

ثم في آخرها حين يعرف يوسف عليه السلام بنفسه يطلب من إخوته أن يأتوا بأبيهم من أرض كنعان التي عرفناها سابقاً وبيئاً موضعها، جاء فيها: "٩ أَسْرِعُوا وَاصْعَدُوا إِلَى أَبِي وَقُولُوا لَهُ: هَكَذَا يَقُولُ ابْنُكَ يُوسُفُ: قَدْ جَعَلَنِي اللَّهُ سَيِّدًا لِكُلِّ مِصْرَ. انْزِلْ إِلَيَّ. لَا تَقِفْ. ١٠ فَتَسْكُنْ فِي أَرْضِ جَاسَانَ وَتَكُونُ قَرِيبًا مِنِّي، أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَنُو بَنِيكَ وَغَنَمُكَ وَبَقْرُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ... ٢٥ فَصْعَدُوا مِنْ مِصْرَ وَجَاءُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، إِلَى يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. ٢٦ وَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: (يُوسُفُ حَيٌّ بَعْدَ، وَهُوَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ). فَجَمَدَ قَلْبُهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَصْدَقْهُمْ. ٢٧ ثُمَّ كَلِمُوهُ بِكُلِّ كَلَامٍ يُوسُفُ الَّذِي كَلِمَهُمْ بِهِ، وَأَبْصَرَ الْعِجْلَاتِ الَّتِي أَرْسَلَهَا يُوسُفُ لِحِمْلِهِ. فَعَاشَتْ رُوحُ يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. ٢٨ فَقَالَ إِسْرَائِيلُ: (كَفَى! يُوسُفُ ابْنِي حَيٌّ بَعْدَ. أَذْهَبُ وَأَرَاهُ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ)"^(٣)، ثم جاء فيها: "٢٧ وَسَكَنَ إِسْرَائِيلُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، فِي أَرْضِ جَاسَانَ، وَتَمَلَّكَوا فِيهَا وَآثَمَرُوا وَكَثُرُوا جَدًّا"^(٤).

فإسرائيل إذن ارتحل من أرض الكنعانيين كما جاء في التوراة: "١ فَارْتَحَلْ إِسْرَائِيلُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ وَاتَى إِلَى بَثْرَ سَبْعَ، وَذَبَحَ ذَبَائِحَ لِلَّهِ أَبِيهِ إِسْحَاقَ. ٢ فَكَلَّمَ اللَّهُ إِسْرَائِيلَ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ وَقَالَ: (يَعْقُوبُ، يَعْقُوبُ!). فَقَالَ: (هَآئِنَا). ٣ فَقَالَ: (أَنَا اللَّهُ، إِلَهَ أَبِيكَ. لَا تَخَفْ مِنْ النُّزُولِ إِلَى مِصْرَ، لِأَنِّي أَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً هُنَاكَ. ٤ أَنَا أَنزَلْتُ مَعَكَ إِلَى مِصْرَ، وَأَنَا أَصْعَدُكَ أَيْضًا. وَيَضَعُ يُوسُفُ يَدَهُ عَلَى عَيْنَيْكَ). ٥ فَقَامَ يَعْقُوبُ مِنْ بَثْرَ سَبْعَ، وَحَمَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ أَبَاهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ فِي الْعِجْلَاتِ الَّتِي أَرْسَلَ فِرْعَوْنُ لِحِمْلِهِ. ٦ وَأَخَذُوا مَوَاشِيَهُمْ وَمَقْتَنَاهُمْ الَّتِي اقْتَنَوْا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَجَاءُوا إِلَى مِصْرَ. يَعْقُوبُ وَكُلُّ

(١) سفر التكوين، الإصحاح الحادي والأربعون (٤١-٤٤).

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثاني والأربعون (١-٢).

(٣) سفر التكوين، الإصحاح الخامس والأربعون (٩-٢٨).

(٤) سفر التكوين، الإصحاح السابع والأربعون (٢٧).

نسله معه. ٧ بنوه وبنو بنيه معه، وبناته وبنات بنيه وكل نسله، جاء بهم معه إلى مصر^(١)، وقد سبق الحديث عن كنعان وأرض كنعان.

ومن الشواهد المهمة في قصة يوسف عليه السلام أن يعقوب -إسرائيل- عليه السلام حين حضرته الوفاة أوصى يوسف عليه السلام أن يدفنه في أرض كنعان فقال كما جاء في التوراة: "ولما قربت أيام إسرائيل أن يموت دعا ابنه يوسف وقال له: (إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فضع يدك تحت فخذي واصنع معي معروفا وأمانة: لا تدفني في مصر، بل أضطجع مع آبائي، فتحملني من مصر وتدفني في مقبرتهم"^(٢)، ففعل يوسف عليه السلام ودفنه في أرض الكنعانيين التي مر ذكرها، جاء فيها: "فصعد يوسف ليدفن أباه، وصعد معه جميع عبيد فرعون، شيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر، ٨ وكل بيت يوسف وإخوته وبيت أبيه، غير أنهم تركوا أولادهم وغنمهم وبقرهم في أرض جاسان. ٩ وصعد معه مركبات وفرسان، فكان الجيش كثيرا جدا. ١٠ فأتوا إلى بيدر أطاد الذي في عبر الأردن وناحوا هناك نوحا عظيما وشديدا جدا، وصنع لأبيه منحة سبعة أيام. ١١ فلما رأى أهل البلاد الكنعانيون المناحة في بيدر أطاد قالوا: (هذه منحة ثقيلة للمصريين). لذلك دعي اسمه (آبل مصرايم). الذي في عبر الأردن. ١٢ وفعل له بنوه هكذا كما أوصاهم: ١٣ حملة بنوه إلى أرض كنعان ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة، التي اشتراها إبراهيم مع الحقل ملك قبر من عفرون الحثي أمام ممرا"^(٣).

فهذه قصة يوسف عليه السلام ملحمة عظيمة سطرها كتب التاريخ، وأخبرنا الله عنها في القرآن الكريم، وذكرت في التوراة، وفيها عدة شواهد على تنقلات بني إسرائيل، وتنقلهم من الشام إلى مصر، وبقائهم فيها حتى خرجوا مع موسى عليه السلام.

الشَّاهِد السَّابِع: مصر:

في الوقت الذي يدَّعي فيه كمال صليبي ومن معه بأنَّ "مصر" الواردة في التوراة تعني "قرية المصرة" في مرتفعات عسير، أو "قرية مصر" في وادي بيشة، نجد أنَّ التوراة قد ذكرت مصر ذكراً وافرّاً، وأكثر ما يهمنا هنا هو موسى عليه السلام ووجوده في مصر ثم خروجه منها؛ حيث تبين النصوص التوراتية أن ذلك في مصر المعروفة وليس في غرب شبه الجزيرة العربية، وصليبي نفسه يعترف بأنَّ "مصر" في التوراة قد يطلق على مصر

(١) سفر التكوين، الإصحاح السادس والأربعون (١-٧).

(٢) سفر التكوين، الإصحاح السابع والأربعون (٢٩-٣٠).

(٣) سفر التكوين، الإصحاح الخمسون (٧-١٣).

المعروفة فيقول: "وكما أشير سابقا فإن كوش يترافق ذكرها في النصوص التوراتية مع مصر، التي تشير بالتأكيد إلى مصر في بعض الفقرات التوراتية... أما في أماكن أخرى من التوراة فإن اسم مصر يشير إلى أي من مواقع عديدة في غرب شبه الجزيرة العربية، بما فيها قرية المصرمة (مصرم) ويلفظ اسمها محليا (المصرامة) (مصرمه) في مرتفعات عسير بين أبها وخميس مشيط، أو قرية (مصر) في وادي بيشة في عسير الداخل"^(١). فمصر في المواضع التي لا يستطيع أن يتهرب فيها عن الحقيقة يقول: نعم هي مصر المعروفة، أما في مواضع أخرى فإنه ينقل مصر من شمال القارة الإفريقية إلى غرب الجزيرة العربية بالقارة الآسيوية! وليست منطقة محددة بل هي - كما الحال مع يردن - تشير إلى عدة مناطق، فقد تكون هذه أو هذه، وهنا معضلة كبيرة وقع فيها صليبي سيأتي الحديث عنها.

لكن لنرى الآن ماذا ذكرت التوراة عن "مصر"، ولنقتصر في ذلك على بعض الشواهد لا كلها، ومن تلك الشواهد أن التوراة تتحدث عن مصر وتذكر فيها النيل والنهر، وهو تعبير صريح عن المراد بمصر، فسفر إرميا جاء فيه: "٧ من هذا الصاعد كالنيل، كأنهار تتلاطم أمواها؟ ٨ تصعد مصر كالنيل، وكأنهار تتلاطم المياه. فيقول: أصعد وأغطي الأرض. أهلك المدينة والساكنين فيها"^(٢).

وقد بينا أن فرعون يطلق على ملك مصر، وجاء نص في سفر حزقيال يجمع بين فرعون مصر وبين الأنهار التي يدعي أنه يملكها، وذلك مشابه لسياق القرآن في سورة الزخرف في قول الله تعالى: {وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الزخرف: ٥١]، فالنهر هنا نهر النيل كما ذكره عدد من المفسرين كما بيناه في الورقة السابقة، جاء في التوراة: "١ في السنة العاشرة، في الثاني عشر من الشهر العاشر، كان إلي كلام الرب قائلا: ٢ (يا ابن آدم، اجعل وجهك نحو فرعون ملك مصر وتنبأ عليه وعلى مصر كلها. ٣ تكلم وقل: هكذا قال السيد الرب: هأنذا عليك يا فرعون ملك مصر، التمساح الكبير الرابض في وسط أنهاره، الذي قال: نهري لي، وأنا عملته لنفسي"^(٣). هذه هي مصر المعروفة، وهو تعبير صريح يجمع بين مصر وفرعون والأنهار التي لا تجتمع إلا في مصر التي نعرفها.

(١) التوراة جاءت من جزيرة العرب (ص: ٩٢-٩٣).

(٢) سفر إرميا، الإصحاح السادس والأربعون (٧-٨).

(٣) سفر حزقيال، الإصحاح التاسع والعشرون (١-٣).

تنبيه: يظنُّ البعض أن لكلام كمال صليبي ومن تبعه وجهًا من الصحة لأن جزيرة العرب كانت مروجًا وأنهارا كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا»^(١)، ويجاب عن هذا الاستدلال بما يأتي:

أولاً: مجرد كون جزيرة العرب فيها أنهار لا يعني أنها هي مصر التي كان فيها أنهار، والمقصود أنه لا يعدُّ دليلاً صحيحاً بمفرده، ولا يعتدُّ به، فالأنهار إن وجدت فهي موجودة في بلاد كثيرة، وإثبات وجودها في جزيرة العرب لا تفيد أن مصر ومصرح التوراة كان فيها. فإن قيل: هو ليس دليلاً بمفرده لكنه يقوي الأدلة الأخرى التي تثبت أن بني إسرائيل كانت ديارهم بها، فإن كانت التوراة تحدثت عن الأنهار فأرض العرب يومًا ما كان فيها أنهار، فنقول:

ثانيًا: لا شك أن علم الجيولوجيا قد أثبت وجود تشكلات تفيد بوجود أنهار في جزيرة العرب، وقبل ذلك نحن نصدق بخبر الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لكن إثبات وجود الأنهار وحده لا يكفي؛ إذ يجب تحديد وجود تلك الأنهار الضخمة في تلك المناطق المحددة لتكون مسرحاً للتوراة وبني إسرائيل، وفي الحقيقة فإن هذا إن حدد سيكتفه إشكال آخر وهو:

ثالثًا: هل من نهر في جنوب جزيرة العرب سمي بنهر النيل؟ فقد نصت التوراة على أن النهر الذي كان موجوداً بمصر هو نهر النيل، كما فيها: "٧ من هذا الصاعد كالنيل، كأنهار تتلاطم أمواهاها؟ ٨ تصعد مصر كالنيل، وكأنهار تتلاطم المياه. فيقول: أصعد وأعطي الأرض. أهلك المدينة والساكنين فيها"^(٢).

وجاء فيها عند ذكر مصر: "٥ وتنشف المياه من البحر، ويجف النهر ويبس. ٦ وتتن الأنهار، وتضعف وتجف سواقي مصر، ويتلف القصب والأسل. ٧ والرياض على النيل على حافة النيل، وكل مزرعة على النيل تيبس وتتبدد ولا تكون. ٨ والصيادون يئنون، وكل الذين يلقون شصاً في النيل ينوحون. والذين يبسطون شبكة على وجه المياه يحزنون، ٩ ويخزي الذين يعملون الكتان الممشط، والذين يحيكون الأنسجة البيضاء. ١٠ وتكون

(١) أخرجه مسلم (١٥٧).

(٢) سفر إرميا، الإصحاح السادس والأربعون (٧-٨).

عمدها مسحوقة، وكل العاملين بالأجرة مكتئبي النفس"^(١)، وهو بيان واضح لمصر، وأنها على النيل، وأن مدنها كذلك على النيل، فأين ذلك النيل في جنوب الجزيرة العربية؟!

رابعاً: أن الأنهار في جزيرة العرب كانت موجود قبل زمن موسى عليه السلام، بل وقبل زمن إبراهيم عليه السلام!

وقد كانت الجزيرة العربية مروجاً وأنهاراً في العصور الجليدية كما توصل إليه بعض الباحثين، يقول جواد علي: "وقد رأى بعض العلماء أن جزيرة العرب كانت في عصر البلايستوسين (pleistocene) خصبة جداً كثيرة المياه، تتساقط عليها الأمطار بغزارة في جميع فصول السنة، وذات غابات كبيرة وأشجار ضخمة، كالأشجار التي نجدها في الزمان الحاضر في الهند وإفريقية، وأن جوّها كان خيراً من جوّ أوروبا في العصور الجليدية التي كانت تغطي الثلوج معظم تلك القارة، ثم أخذ الجوّ يتغير في العالم، فذابت الثلوج بالتدريج، وتغير جوّ بلاد العرب بالطبع، حدث هذا التغير في عصر النيوليتك (neolithic) أو في عصر الكالكوليتك (chalcolithic)"^(٢).

وفي هذا العصر بدأ الجفاف كما يرى فليبي، يقول جواد علي: "أما فليبي فذهب في دراساته المسهبة لأحوال جزيرة العرب إلى أن الأقسام الجنوبية من جزيرة العرب هي الموطن الأصلي للساميين، وفي هذه الأرضين نبتت السامية، ومنها هاجرت بعد اضطرارها إلى ترك مواطنها القديمة لحلول الجفاف بها الذي ظهرت بؤادره منذ عصر الباليوليتك (palaeolithic) هاجرت في رأيه في موجات متعاقبة، سلكت الطرق البرية والبحرية حتى وصلت إلى المناطق التي استقر فيها"^(٣).

واستمر التحول تدريجياً، فقد استغرق ذلك آلاف السنين، أي: لا يمكن أن تكون جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً في زمن اليهود ثم يحدث الجفاف التام في غضون ألفي عام! يقول جواد علي: "وفي جملة أسباب ضيق جزيرة العرب عن استيعاب العدد الكبير من السكان تغير طرأ عليها، أدى إلى انحباس الأمطار عنها وشيوع الجفاف فيها؛ مما أثر على قشرتها وعلى أحيائها، فهلك من هلك وهاجر من هاجر من جزيرة العرب، وقد

(١) سفر إشعياء، الإصحاح التاسع عشر (٥-١٠).
(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١/ ٢٣٩-٢٤٠).
(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١/ ٢٣٢).

استمر هذا التغير آلاف من السنين حتى حوّل بلاد العرب أرضين غلبت عليها الطبيعة الصحراوية، وقلّت فيها الرطوبة، وغلب على أكثر بقاعها الجفاف^(١).

ويؤكد أن جزيرة العرب قد جفت حتى قبل إبراهيم عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى حكى عن إسكان إبراهيم لهاجر عليه السلام في مكة وقد وصفها بقوله: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ} [إبراهيم: ٣٧]، وهو دليل قرآني صريح على أن جزيرة العرب في أيام إبراهيم عليه السلام لم تكن ذات مروج وأنهار، بل كانت جافة قاحلة غير ذي زرع، وهذا قبل موسى عليه السلام كما هو بيّن، وعليه فلا يمكن أن تكون هذه الأنهار التي تحدثت عنها التوراة في جنوب جزيرة العرب.

أمّا عن موسى عليه السلام ففي قصته شواهد كثيرة تدلّ على مصر المعروفة، من أهمها: أن موسى عليه السلام حين كان في مديان ثم خرج منها كلمه الله سبحانه وتعالى، فكان مما قال له كما جاء في التوراة: "٦ ثم قال: (أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب). فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله. ٧ فقال الرب: (إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إني علمت أوجاعهم، ٨ فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين، وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبنا وعسلا، إلى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين. ٩ والآن هوذا صراخ بني إسرائيل قد أتى إلي، ورأيت أيضا الضيقة التي يضايقهم بها المصريون، ١٠ فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون، وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر"^(٢). وفي هذا النص تظهر شواهد عديدة من ذكر مصر، وذكر فرعون الذي لا يكون إلا ملك مصر المعروفة، وذكر أنه سيخرجهم من مصر إلى أرض الكنعانيين التي بناها سابقاً، وكلها تدلّ على أن مصر في هذا النص هي مصر المعروفة.

الشاهد الثامن: الخروج:

أمّا عن الخروج من مصر فإن القصة برمتها تشهد أن مصر هي مصر المعروفة، وقد أوقعت هذه القصة كمال صليبي في حرج ومعضلة!

ذلك أنه أورد خروج الإسرائيليين من مصر التي هي "مصرمة" في مرتفعات عسير، أو قرية "مصر" في وادي بيشة كما مرّ، كما حدد صليبي ومن تبعه مكان الانطلاق لعبور

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١/ ٢٤٠).

(٢) سفر الخروج، الإصحاح الثالث (٦-١٠).

الأردن الذي جعله بمنطقة الطائف [انظر: الخريطة رقم (١)]، ومهما حاولت أن تجد طريقاً بين المنطقتين في وسطه بحرٌ فإنك لن تجد! فأين تذهب قصة عبور البحر وتلك المعجزة الكبرى التي ذكرها القرآن الكريم؟!

يقول تعالى: {فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} [الشعراء: ٦٣]، وجاء في التوراة أيضاً: "فشد مركبته وأخذ قومه معه. ٧ وأخذ ست مئة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنوداً مركبية على جميعها. ٨ وشدده الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بني إسرائيل، وبني إسرائيل خارجون بيد رفيعة. ٩ فسعى المصريون وراءهم وأدركوهم. جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه، وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروث، أمام بعل صفون. ١٠ فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم، وإذا المصريون راحلون وراءهم. ففزعوا جداً، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب. ١١ وقالوا لموسى: (هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ ١٢ أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين: كف عنا فنخدم المصريين؟ لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية). ١٣ فقال موسى للشعب: (لا تخافوا. قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم. فإنه كما رأيتم المصريين اليوم، لا تعودون ترونهم أيضاً إلى الأبد. ١٤ الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون). ١٥ فقال الرب لموسى: (ما لك تصرخ إلي؟ قل لبني إسرائيل أن يرحلوا. ١٦ وارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقه، فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة. ١٧ وها أنا أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم، فأتمجد بفرعون وكل جيشه، بمركباته وفرسانه. ١٨ فيعرف المصريون أنني أنا الرب حين أتمجد بفرعون ومركباته وفرسانه). ١٩ فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم، وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم. ٢٠ فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل، وصار السحاب والظلام وأضاء الليل. فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل. ٢١ ومد موسى يده على البحر، فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل، وجعل البحر يابسة وانشق الماء. ٢٢ فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم. ٢٣ وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم. جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر. ٢٤ وكان في هزيع الصباح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب، وأزعج عسكر المصريين، ٢٥ وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقله. فقال المصريون: (نهرب من إسرائيل، لأن الرب يقاتل

المصريين عنهم). ٢٦ فقال الرب لموسى: (مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين، على مركباتهم وفرسانهم). ٢٧ فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة، والمصريون هاربون إلى لقائه. فدفع الرب المصريين في وسط البحر. ٢٨ فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر. لم يبق منهم ولا واحد. ٢٩ وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم. ٣٠ فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين. ونظر إسرائيل المصريين أمواتا على شاطئ البحر. ٣١ ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين، فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبدته موسى^(١).

فانظر إلى هذه القصة الملحمية العظيمة وما ورد فيها، ثم قارن بينها وبين ما ذكره صليبي وبينه من مكان الانطلاق والخروج ومكان الوصول؛ هل يمكن أن يكون هناك بحر بهذا الحجم؟!

بحر يخبر الله عنه أنه شقّه، وأن بني إسرائيل بأعدادهم الضخمة قد دخلوا وسط البحر على اليابسة، ودخل خلفهم فرعون بجنوده بعدتهم وعتادهم، فأين هذا البحر الكبير في هذه المناطق بين عسير والطائف كما بين هؤلاء؟! وإذا عرفت مكان الانطلاق والوصول عند صليبي [انظر: الخريطة رقم (١)] فستدرك مباشرة حجم المعضلة التي وقع فيها من ذكر أن هذه الأحداث كلها وقعت في غرب جزيرة العرب؛ إذ لا يمكن أن يكون هناك بحر بين هذه المناطق التي ذكروها، ولذا أغفل صليبي ذكر البحر كما أوردته التوراة بهذه الضخامة.

ومن أعظم الشواهد على أن مصر هي التي نعرفها قصة بلعام بن بعور، فإن شعب بني إسرائيل حين خرجوا خافوا ملوك "مديان"، وهي مدين التي ذهب إليها موسى عليه السلام، فأتوا إلى بلعام وطلبوا منه أن يلقي عليهم اللعنة حتى لا يأتوا، جاء في التوراة: "١ وارتحل بنو إسرائيل ونزلوا في عربات موآب من عبر أردن أريحا، ٢ ولما رأى بالاق بن صفور جميع ما فعل إسرائيل بالأموريين، ٣ فزع موآب من الشعب جدا لأنه كثير، وضجر موآب من قبل بني إسرائيل. ٤ فقال موآب لشيخ مديان: (الآن يلحس الجمهور كل ما حولنا كما يلحس الثور خضرة الحقل). وكان بالاق بن صفور ملكا لموآب في ذلك

(١) سفر الخروج، الإصحاح الرابع عشر (٦-٣١).

الزمان. ٥ فأرسل رسلا إلى بلعام بن بعور، إلى فتور التي على النهر في أرض بني شعبه ليدعوه قائلا: (هوذا شعب قد خرج من مصر. هوذا قد غشى وجه الأرض، وهو مقيم مقابلي. ٦ فالآن تعال والعن لي هذا الشعب، لأنه أعظم مني، لعله يمكننا أن نكسره فأطرده من الأرض، لأني عرفت أن الذي تباركه مبارك والذي تلعنه ملعون" (١).

وأهمية هذه القصة تكمن في أنها أحد أهم الشواهد الأركيولوجية التي تدل على أن صاحب هذه القصة -وهو بلعام- كان في الشام، أو على الأقل شمال الجزيرة العربية وليس جنوبها، فقد كشفت التنقيبات هناك عن نصوص آرامية في غاية الأهمية، بينها نصّ عنوانه: "هذه طور بلعام بن بعور". وهذه بينة أركيولوجية وكتابية دامغة تظهر إلى أي مدى يمكن لمنهج مقابلة أسماء المواقع أن يؤدي إلى نتائج بعيدة عن الواقع (٢).

الشاهد التاسع: سيناء والتهيه:

مرّ بنا في ورقة "الشواهد القرآنية" ذكر سيناء والطور ذلك الجبل الذي أوحى الله فيه إلى موسى عليه السلام، وقد ذكرت التوراة نصوصاً كثيرة في وصف سيناء، بحيث لا يمكن أن تكون سيناء في غرب جزيرة العرب، وإذا أردت أن تعرف ذلك فإنك تجمع كل الحقائق التي وردت عن مصر، والبحر الذي انفلق؛ لتدرك أنهم خرجوا إلى سيناء المعروفة، جاء في التوراة عن بداية خروجهم: "١ ثم ارتحلوا من إيليم. وأتى كل جماعة بني إسرائيل إلى بركة سين، التي بين إيليم وسيناء في اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني بعد خروجهم من أرض مصر. ٢ فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية. ٣ وقال لهما بنو إسرائيل: (ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع. فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع" (٣)، وهو نصّ يذكرنا بقول الله تبارك وتعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [البقرة: ٦١].

(١) سفر العدد، الإصحاح الثاني والعشرون (١-٦).

(٢) انظر: الحدث التوراتي والشرق، الأدنى القديم (ص: ٢٤٦).

(٣) سفر الخروج، الإصحاح السادس عشر (١-٣).

وبيين سفر الخروج في موضع آخر أنهم نزلوا بركة سيناء، فجاء فيه: "١ في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر، في ذلك اليوم جاءوا إلى بركة سيناء. ٢ ارتحلوا من ريفديم وجاءوا إلى بركة سيناء فنزلوا في البرية. هناك نزل إسرائيل مقابل الجبل" (٣).

وأثناء سيرهم في بركة سيناء يذكّرهم الله بالأرض التي هم ذاهبون إليها فيقول كما في التوراة: "٣١ وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين، ومن البرية إلى النهر" (٤).

ثم حدثت هناك القصة التي ذكرها الله في كتابه في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [المائدة: ٢٠-٢٦].

وقد ذكرت التوراة وفصلت هذا الامتناع وهذا الذنب من بني إسرائيل، جاء فيها: "١٧ فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان، وقال لهم: (اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا إلى الجبل، ١٨ وانظروا الأرض، ما هي: والشعب الساكن فيها، أقوى هو أم ضعيف؟ قليل أم كثير؟... ٢١ فصعدوا وتجسسوا الأرض من بركة صين إلى رحوب في مدخل حماة. ٢٢ صعدوا إلى الجنوب وأتوا إلى حبرون... وأيضا قد رأينا بني عناق هناك. ٢٩ العمالقة ساكنون في أرض الجنوب، والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل، والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن)" (٥).

ففي هذا النص يصفون الأرض التي هم خارجون إليها، فذكروا حماة، وحبرون التي هي مدينة الخليل كما مرّ، وذكروا الكنعانيين وأرضهم، وكلها تصدق على تلك الديار من الشام، لا على غرب شبه الجزيرة العربية.

(١) سفر الخروج، الإصحاح التاسع عشر (٢-١).
(٢) سفر الخروج، الإصحاح الثالث والعشرون (٣١).
(٣) سفر العدد، الإصحاح الرابع عشر (١٧-٢٩).

فالأرض التي هم ذاهبون إليها هي أرض كنعان كما في نصوص عديدة في التوراة، منها: "٥٠ وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً: ٥١ (كلم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان"^(١).

ومنها أيضاً نصٌ يبين بوضوح حدود تلك الأراضي، فيذكر حماة والأردن وغيرها، ويذكر منها "بحر الملح" الذي ارتبط كثيراً بنهر الأردن الذي مر بنا، جاء في التوراة: "١ وكلم الرب موسى قائلاً: ٢ (أوص بني إسرائيل وقل لهم: إنكم داخلون إلى أرض كنعان. هذه هي الأرض التي تقع لكم نصيباً. أرض كنعان بتخومها، ٣ تكون لكم ناحية الجنوب من بركة صين على جانب أدوم، ويكون لكم تخم الجنوب من طرف بحر الملح إلى الشرق، ٤ ويدور لكم التخم من جنوب عقبة عقربيم، ويعبر إلى صين، وتكون مخارجه من جنوب قادش برنيع، ويخرج إلى حصر أدار، ويعبر إلى عصمون. ٥ ثم يدور التخم من عصمون إلى وادي مصر، وتكون مخارجه عند البحر. ٦ وأما تخم الغرب فيكون البحر الكبير لكم تخماً. هذا يكون لكم تخم الغرب. ٧ وهذا يكون لكم تخم الشمال. من البحر الكبير ترسمون لكم إلى جبل هور. ٨ ومن جبل هور ترسمون إلى مدخل حماة، وتكون مخارج التخم إلى صدد. ٩ ثم يخرج التخم إلى زفرون، وتكون مخارجه عند حصر عينان. هذا يكون لكم تخم الشمال. ١٠ وترسمون لكم تخماً إلى الشرق من حصر عينان إلى شفام. ١١ وينحدر التخم من شفام إلى ربلة شرقي عين. ثم ينحدر التخم ويمس جانب بحر كنارة إلى الشرق. ١٢ ثم ينحدر التخم إلى الأردن، وتكون مخارجه عند بحر الملح. هذه تكون لكم الأرض بتخومها حوالها"^(٢).

ولما عصى القوم ولم يدخلوا ولم يحاربوا عاقبهم الله بما ذكره في كتابه العزيز: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [المائدة: ٢٦]، وبينت التوراة أن الله سبحانه وتعالى غضب على بني إسرائيل، وقال لهم: "٢٩ في هذا القفر تسقط جثثكم، جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً الذين تدمروا علي. ٣٠ لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها، ما عدا كالب بن يفتة ويشوع بن نون. ٣١ وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فإني سأدخلهم، فيعرفون الأرض التي احتقرتموها. ٣٢ فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر، ٣٣ وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة، ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في

(١) سفر العدد، الإصحاح الثالث والثلاثون (٥٠-٥١).

(٢) سفر العدد، الإصحاح الرابع والثلاثون (١-١٢).

القفر. ٣٤ كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض أربعين يوماً، للسنة يوم. تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادي. ٣٥ أنا الرب قد تكلمت. لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة علي. في هذا القفر يفنون، وفيه يموتون^(١).

وفي فترة التيه تلك مات هارون عليه السلام^(٢).

وقد مات موسى عليه السلام أيضاً قبل أن يدخل الأرض التي خرجوا إليها، جاء في التوراة: "٤٨ وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً: ٤٩ (اصعد إلى جبل عباريم هذا، جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا، وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيتها لبني إسرائيل ملكا، ٥٠ ومت في الجبل الذي تصعد إليه، وانضم إلى قومك، كما مات هارون أخوك في جبل هور وضم إلى قومه"^(٣).

وانتهت قصة موسى عليه السلام التي تحمل شواهد عديدة على موطن بني إسرائيل، يمكن تلخيصها في الآتي:

١ - ذهابه إلى مدائن.

٢ - ربط مصر التي ذهب إليها بمصر فرعون.

٣ - ملحمة الخروج من مصر وعبور البحر الكبير الذي يبس لبني إسرائيل، ودخله العدد الكبير جداً الذي تقدره التوراة فتقول: "فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت، نحو ست مئة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد"^(٤)، ثم دخل خلفهم فرعون بجيشه بعدتهم وعتادهم، فأين هذا البحر الكبير في غرب شبه الجزيرة العربية؟!

٤ - الأمر بالرحيل إلى أرض الكنعانيين.

٥ - كونه في سيناء.

فهذه شواهد واضحة الدلالة على موطن بني إسرائيل وكونه في الشام ومصر.

الشاهد العاشر: يشوع:

آل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام إلى يشوع بن نون من سبط أفرايم، وكان خادماً لموسى كما في سفر الخروج حين قال الرب لموسى: "(اصعد إلي إلى الجبل،

(١) سفر العدد، الإصحاح الرابع عشر (٢٩-٣٥).

(٢) انظر: سفر العدد، الإصحاح العشرون (٢٢-٢٩).

(٣) سفر التثنية، الإصحاح الثاني والثلاثون (٤٨-٥٠).

(٤) سفر الخروج، الإصحاح الثاني عشر (٣٧).

وكن هناك، فأعطيك لוחي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم). ١٣ فقام موسى ويشوع خادمه. وصعد موسى إلى جبل الله^(١)، ثم عينه موسى عليه السلام لقيادة بني إسرائيل^(٢)، كما اختاره خليفة من بعده بأمر من الله كما في التوراة: "١٨ فقال الرب لموسى: (خذ يشوع بن نون، رجلاً فيه روح، وضع يدك عليه، ١٩ وأوقفه قدام ألعازار الكاهن وقدام كل الجماعة، وأوصه أمام أعينهم. ٢٠ واجعل من هيبتك عليه لسمع له كل جماعة بني إسرائيل"^(٣).

وحسب رواية التوراة فإنَّ الله قد كلم يشوع ليبين له الأرض التي ستكون لبني إسرائيل، يقول: "٢ (موسى عبدي قد مات. فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل... ٤ من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات، جميع أرض الحثيين، وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم"^(٤)، وتتضح فيه المدن الداخلة تحت هذا الحدود، وفي نص آخر جاء في التوراة: "٢٤ من البرية ولبنان. من النهر، نهر الفرات، إلى البحر الغربي يكون تخمكم"^(٥).

الشَّاهد الحادي عشر: القدس:

لا شكَّ أن القدس أو أورشليم كانت مدينة مستقلة موجودة من قبل أن يأتيها بنو إسرائيل، فقد كانت مدينة كنعانية، وبنصَّ التوراة كان اليبوسيون يسكنها في عصر القضاة، وقد سكن معهم بنو يهوذا، جاء في التوراة: "٦٣ وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم"^(٦).

ويشوع هو الموعود أن يدخل تلك الأراضي بما فيها القدس -حسب التوراة-، وقد ذكرت التوراة تفاصيل الملاحم التي وقعت أثناء دخول أراضي الفلسطينيين، وبينت بوضوح أن يشوع دخل أراضي الكنعانيين التي هي في الشام كما بيناً سابقاً، وقد بعث يشوع رجالاً ليروا تلك الأمكنة بما فيها القدس -أورشليم- والأحداث التي ذكرتها التوراة والمدن التي ذكرتها منطقياً جداً، فقد أمر يشوع رجاله بعبور نهر الأردن الذي هو في فلسطين كما بينا واستدللنا لذلك، يقول الله ليشوع كما في التوراة: "١ وكان بعد موت

(١) سفر الخروج، الإصحاح الرابع والعشرين (١٢-١٣).

(٢) انظر: سفر الخروج، الإصحاح السابع عشر (٨-٩).

(٣) سفر العدد، الإصحاح السابع والعشرون (١٨-٢٠).

(٤) سفر يشوع، الإصحاح الأول (٢-٤).

(٥) سفر التثنية، الإصحاح الحادي عشر (٢٤).

(٦) سفر يشوع، الإصحاح الخامس عشر (٦٣).

موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: ٢ (موسى عبدي قد مات. فالآن قم اعبّر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل"^(١)، وقد امتثل يشوع لأمر الرب، جاء في التوراة: "فبكر يشوع في الغد وارتحلوا من شطيم وأتوا إلى الأردن، هو وكل بني إسرائيل، وباتوا هناك قبل أن يعبروا"^(٢).

ثم أرسل يشوع رجالاً لينظروا إلى تلك المناطق ويعرفوها ومنها القدس -أورشليم-، فجاؤوا إلى أريحا وجلسوا فيها، وهو الأمر المنطقي إذ إن بعد عبور الأردن وقبل أن تصل إلى القدس ستجد مدينة أريحا [كما يتضح في الخريطة رقم (٢)]، جاء في التوراة: "فأرسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سرا، قائلاً: (اذهبا انظرا الأرض وأريحا). فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك. ٢ فقبل لملك أريحا: (هوذا قد دخل إلى هنا الليلة رجالان من بني إسرائيل ليتجسسا الأرض)"^(٣).

فالحديث إذن واضحٌ جداً عن عبور الأردن ثم تقابلهم أريحا ثم القدس، والتوراة تؤكد أنهم يريدون مناطق الكنعانيين وغيرهم، كما جاء فيها: "٩ فقال يشوع لبني إسرائيل: (تقدموا إلى هنا واسمعوا كلام الرب إلهكم). ١٠ ثم قال يشوع: (بهذا تعلمون أن الله الحي في وسطكم، وطرده يطرد من أمامكم الكنعانيين والحثيين والحويين والفرزيين والجرجاشيين والأموريين واليبوسيين"^(٤). وقد عرّفنا بأرض الكنعانيين، وبيناً أيضاً قبل قليل أن القدس مقر اليبوسيين، ولذلك تجهز كل هؤلاء لمحاربة يشوع ومن معه، جاء في التوراة: "١ ولما سمع جميع الملوك الذين في عبر الأردن في الجبل وفي السهل وفي كل ساحل البحر الكبير إلى جهة لبنان، الحثيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون، ٢ اجتمعوا معاً لمحاربة يشوع وإسرائيل بصوت واحد"^(٥).

الشاهد الثاني عشر: داود:

كان صموئيل نبياً من أنبياء بني إسرائيل، قد طلبوا منه أن يجاهدوا في سبيل الله، ولأجل ذلك طلبوا ملكاً كما حكى الله سبحانه وتعالى في كتابه إذ قال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ

(١) سفر يشوع، الإصحاح الأول (١-٢).

(٢) سفر يشوع، الإصحاح الثالث (١).

(٣) سفر يشوع، الإصحاح الثاني (١-٢).

(٤) سفر يشوع، الإصحاح الثالث (٩-١٠).

(٥) سفر يشوع، الإصحاح التاسع (١-٢).

عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ { [البقرة: ٢٤٦]. فلما أصرروا على ذلك بعث الله عليهم ملكًا وهو طالوت كما قال الله: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [البقرة: ٢٤٧].

وقد خرج للقتال إلى أن وصل إلى جالوت، ولأجل هذا تم سياق هذه القصة، فقد برز في هذا الوقت داود عليه السلام الذي سيكون أيضًا له ملاحم كثيرة في أراضي الشام، وقد حكى الله قصته البطولية بقوله: {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } [البقرة: ٢٥١].

وكانت تلك الحرب بين طالوت ومن معه وبين الفلسطينيين حسب رواية التوراة، ومعروف منطقة الفلسطينيين، فكانت الحرب في منطقتهم، جاء في التوراة: "١ وجمع الفلسطينيون جيوشهم للحرب، فاجتمعوا في سوكونه التي ليهودا، ونزلوا بين سوكونه وعزيقة في أفس دميم. ٢ واجتمع شاول ورجال إسرائيل ونزلوا في وادي البطم، واصطفوا للحرب للقاء الفلسطينيين. ٣ وكان الفلسطينيون وقوفا على جبل من هنا، وإسرائيل وقوفا على جبل من هناك، والوادي بينهم. ٤ فخرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمه جليات، من جت... ١٢ وداود هو ابن ذلك الرجل الأفراي من بيت لحم يهوذا الذي اسمه يسى وله ثمانية بنين... ١٤ وداود هو الصغير. والثلاثة الكبار ذهبوا وراء شاول. ١٥ وأما داود فكان يذهب ويرجع من عند شاول ليرعى غنم أبيه في بيت لحم... ٤٨ وكان لما قام الفلسطيني وذهب وتقدم للقاء داود أن داود أسرع وركض نحو الصف للقاء الفلسطيني. ٤٩ ومد داود يده إلى الكنف وأخذ منه حجرا ورماه بالمقلاع، وضرب الفلسطيني في جبهته، فارتز الحجر في جبهته، وسقط على وجهه إلى الأرض. ٥٠ فتمكن داود من الفلسطيني بالمقلاع والحجر، وضرب الفلسطيني وقتله"^(١). فكان هذا هو الظهور الأول لداود عليه السلام، وفيه من الشواهد أن تلك الحرب كانت مع الفلسطينيين، وأنه قد ذكر فيه بيت لحم، وهي منطقة معروفة في الشام.

(١) سفر صموئيل الأول، الإصحاح السابع عشر (١-٥٠) مختصراً.

وكان داود قد جعل من أورشليم -القدس - عاصمة له، وقد بينا أن يشوع قد دخلها، إلا أن داود عليه السلام قد دخلها وجعلها عاصمته كما جاء في التوراة: "كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك، وملك أربعين سنة. ٥ في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر. وفي أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا. ٦ وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم، إلى اليوسيين سكان الأرض"^(١).

وكانت القدس والمدن التوراتية الأخرى في الشام قريبة من بعض، فلا يمكن الفصل بين تلك المدن ليدعي أحدهم أن حبرون أو صور في مكان والقدس في مكان آخر، والتوراة تبين أن صور وحبرون والقدس مناطق متقاربة، جاء فيها: "١١ وأرسل حيرام ملك صور رسلا إلى داود، وخشب أرز ونجارين وبنائين فبنوا لداود بيتا. ١٢ وعلم داود أن الرب قد أثبتته ملكا على إسرائيل، وأنه قد رفع ملكه من أجل شعبه إسرائيل. ١٣ وأخذ داود أيضا سراري ونساء من أورشليم بعد مجيئه من حبرون"^(٢). وقد بيان سابقا موضع حبرون ومدينة صور، والقدس قريبة منهما، فالحديث كله إذن عن أراضي الشام.

الشاهد الثالث عشر: سليمان عليه السلام:

لا شك أن سليمان عليه السلام قد أخذ الملك بعد والده داود، كما أنه كان نبيا من أنبياء الله، وقصته طويلة، يهمنا منها تنازله عن بعض المدن لملك صور، جاء في التوراة: "١٠ وبعد نهاية عشرين سنة بعدما بنى سليمان البيت، بيت الرب وبيت الملك. ١١ وكان حيرام ملك صور قد ساعف سليمان بخشب أرز وخشب سرو وذهب، حسب كل مسرته. أعطى حينئذ الملك سليمان حيرام عشرين مدينة في أرض الجليل. ١٢ فخرج حيرام من صور ليرى المدن التي أعطاه إياها سليمان، فلم تحسن في عينيه. ١٣ فقال: (ما هذه المدن التي أعطيتني يا أخي؟) ودعاها (أرض كابول) إلى هذا اليوم. ١٤ وأرسل حيرام للملك مئة وعشرين وزنة ذهب"^(٣)، فسليمان عليه السلام قد تنازل عن بعض مدن الجليل، وكنا قد تحدثنا عن صور وموقعها.

ومن الشواهد في قصة سليمان عليه السلام أنه قد بنى مدن المخازن في بعض المناطق المعروفة في الشام، جاء في التوراة: "١ وبعد نهاية عشرين سنة، بعد أن بنى سليمان بيت الرب وبيته، ٢ بنى سليمان المدن التي أعطاه حورام لسليمان، وأسكن فيها بني إسرائيل.

(١) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الخامس (٤-٦).

(٢) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الخامس (١١-١٣).

(٣) سفر الملوك الأول، الإصحاح التاسع (١٠-١٤).

٣ وذهب سليمان إلى حماة صوبة وقوي عليها. ٤ وبني تدمر في البرية وجميع مدن المخازن التي بناها في حماة. ٥ وبني بيت حورون العليا وبيت حورون السفلى، مدنا حصينة بأسوار وأبواب وعوارض. ٦ وبعلة وكل مدن المخازن التي كانت لسليمان، وجميع مدن المركبات ومدن الفرسان وكل مرغوب سليمان الذي رغب أن يبنيه في أورشليم وفي لبنان وفي كل أرض سلطانه^(١).

وأخيراً:

تعطينا التوراة ملخصاً شاملاً للأحداث التي ذكرناها هنا، بدءاً من إبراهيم عليه السلام، وللشواهد التي تطرقنا لها، والتي تؤكد موطن بني إسرائيل ووجودهم بين الشام ومصر، جاء في التوراة: "١ وجمع يشوع جميع أسباط إسرائيل إلى شكيم. ودعا شيوخ إسرائيل ورؤساءهم وقضاةهم وعرفاءهم فمثلوا أمام الرب. ٢ وقال يشوع لجميع الشعب: (هكذا قال الرب إله إسرائيل: آباؤكم سكنوا في عبر النهر منذ الدهر. تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور، وعبدوا آلهة أخرى. ٣ فأخذت إبراهيم آباكم من عبر النهر وسرت به في كل أرض كنعان، وأكثر نسله وأعطيته إسحاق. ٤ وأعطيته إسحاق يعقوب وعيسو، وأعطيته عيسو جبل سعيير ليملكه. وأما يعقوب وبنوه فنزلوا إلى مصر. ٥ وأرسلت موسى وهارون وضربت مصر حسب ما فعلت في وسطها، ثم أخرجتكم. ٦ فأخرجت آباءكم من مصر، ودخلتم البحر وتبع المصريون آباءكم بمركبات وفرسان إلى بحر سوف. ٧ فصرخوا إلى الرب، فجعل ظلاماً بينكم وبين المصريين، وجلب عليهم البحر فغطاهم. ورأت أعينكم ما فعلت في مصر، وأقمتم في القفر أياماً كثيرة. ٨ ثم أتيت بكم إلى أرض الأموريين الساكنين في عبر الأردن فحاربوكم، ودفعتهم بيديكم فملكتم أرضهم وأهلكتهم من أمامكم. ٩ وقام بالاق بن صفور ملك موآب وحارب إسرائيل، وأرسل ودعا بلعام بن بعور لكي يلعنكم. ١٠ ولم أشأ أن أسمع لبلعام، فبارككم بركة وأنقذتكم من يده. ١١ ثم عبرتم الأردن وأتيتم إلى أريحا. ١٢ فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة، وانزعوا الآلهة الذين عبدتهم آباؤكم في عبر النهر وفي مصر، واعبدوا الرب"^(٢).

فها هي الشواهد التي أردنا أن نورد بعضاً منها، والتوراة مليئة بها، وقد كفانا تقرير القرآن والسنة، إلا أننا أحببنا أن نظهر هذه الشواهد ممن يعتمد على التوراة اعتماداً كلياً، سواء لاعتقاده صحته، أو لاعتباره كتاباً تاريخياً لا يخطئ! ورغم تحريف التوراة وقيينا

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح الثامن (١-٦).

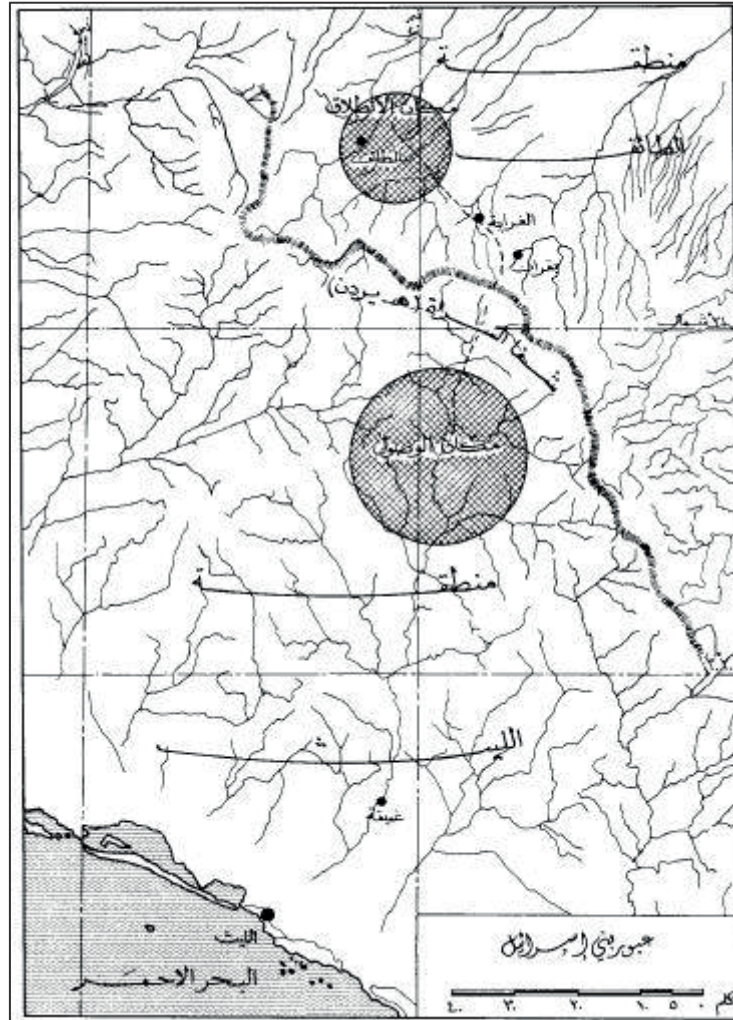
(٢) سفر يشوع، الإصحاح الرابع والعشرون (١-١٤).

بذلك إلا أنها كانت شاهدة لما قرره القرآن، وجمع نصوصها من مواضعها المختلفة يبين ويظهر بجلاء أن موطن بني إسرائيل كان في الشام ومصر.

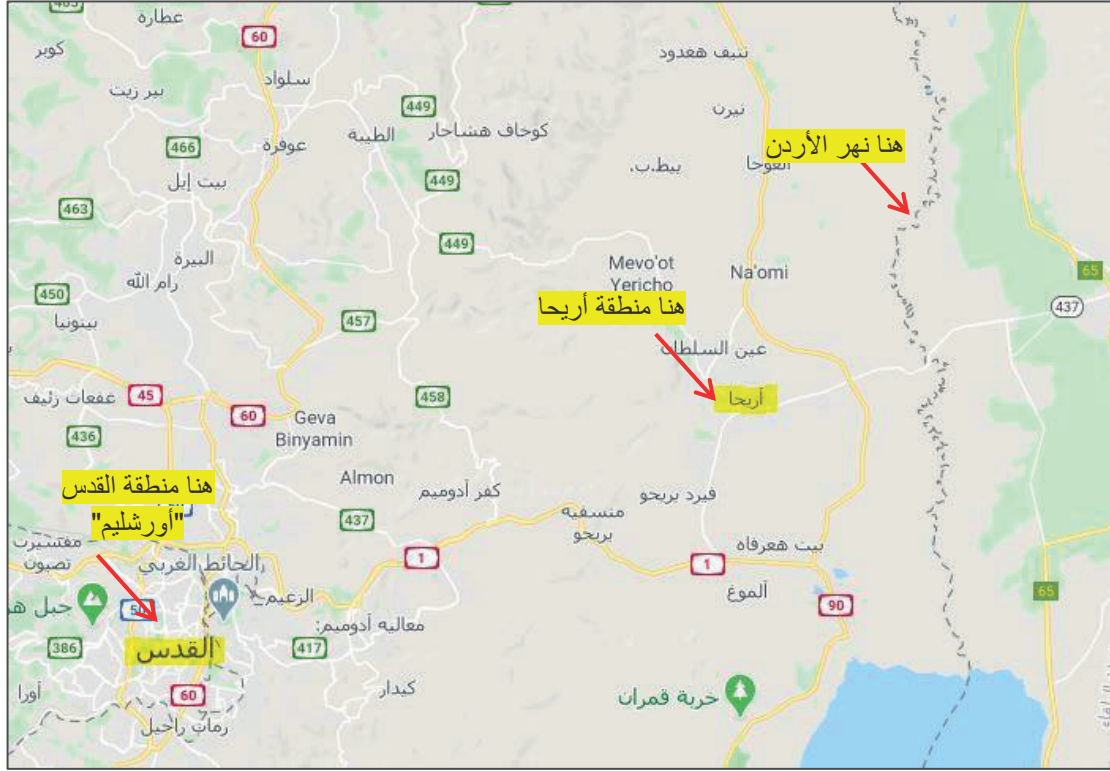
ونؤكد وبشدة أننا إذ نورد الشواهد التي تبين أن أرض بني إسرائيل كانت في الشام لا نعني بذلك أنه يحق لهم اليوم أن يحتلوا فلسطين والقدس، بل الأدلة الشرعية والعرفية والقوانين الدولية كلها تقتضي عدم أحقية بني إسرائيل اليوم بأرض فلسطين، ولتفصيل ذلك مقامات أخرى.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الملحقات



الخريطة رقم (١): منطقة انتقال بني إسرائيل ومكان الوصول بحسب رؤية كمال صليبي ومن تبعه



الخريطة رقم (٢): توضيح عبور يشوع ببني إسرائيل إلى أرض الكنعانيين واليوسيين